

بناء الهوية في سيرة طارق بن زياد: تحليل نقدي للمصادر التاريخية المبكرة والمتأخرة

The Construction of Identity in the Biography of Tariq ibn Ziyad: A Critical Analysis of Early and Later Historical Sources

محمد سعداني

جامعة وهران 01 (الجزائر)

andalus479@gmail.com

المعلومات المقال	الملخص:
<p>تاريخ الارسال: 2025/12/21</p> <p>تاريخ القبول: 2026/04/11</p> <p>الكلمات المفتاحية:</p> <ul style="list-style-type: none"> ✓ طارق بن زياد ✓ المغربية ✓ المصادر التاريخية ✓ البربرية النفزية 	<p>تهدف هذه الدراسة إلى استجلاء هوية طارق بن زياد وتتبع أصوله عبر تحليل نقدي للمصادر التاريخية، بدءاً بالمصادر المبكرة (القرن 3-4هـ / 9-10م) وصولاً إلى المصادر الوسيطة والمتأخرة (القرن 5-8هـ / 11-14م). ترصد الدراسة تطور السردية التاريخية حول شخصيته، وكيف تعاطت معها المدونات عبر الزمن. وقد خلصت الدراسة إلى أن هوية طارق بدأت في بواكير التدوين غامضة ومختزلة في كونه "مولى" مجهول النسب، ثم ظهرت روايات متضاربة، ليتم لاحقاً ترجيح انتمائه البربري النفزي في المصادر الوسيطة. وبحلول القرن الثامن الهجري / 14م، ترسخت الهوية "البربرية النفزية المغربية" وتأكدت بفضل اعتماد المؤرخين - وعلى رأسهم ابن عذاري المراكشي - على مصادر نسابة البربر، مما أنهى حالة الغموض الأولى.</p>
Article info	Abstract:
<p>Received: 21/12/2025</p> <p>Accepted: 11/04/2026</p> <p>Key words:</p> <ul style="list-style-type: none"> ✓ Tariq ibn Ziyad ✓ Maghrebi ✓ historical sources ✓ Berber Nafzi 	<p>This study investigates the identity and origins of Tariq ibn Ziyad through a critical analysis of historical sources, ranging from the early period (3rd-4th c. AH / 9th-10th c. CE) to the later periods (5th-8th c. AH / 11th-14th c. CE). It traces the narrative evolution of his identity, which initially appeared ambiguous and confined to the status of a <i>Mawla</i> (client) in early historiography. The study concludes that representations of Tariq shifted from conflicting origins to a gradual preference for the Berber Nafzi lineage. By the 8th c. AH / 14th c. CE, a Maghrebi Berber Nafzi identity was firmly consolidated, supported by Berber genealogies and prominent historians such as Ibn Idhari al-Marrakushi.</p>

شهد التاريخ الإسلامي عامة، وتاريخ بلاد المغرب والأندلس خاصة، منعطفات كبرى غيرت مجرى الأحداث التاريخية؛ ويبرز فتح الأندلس كأحد أهم هذه الأحداث الفاصلة. وإذا كان من الثابت تاريخياً أن القائد "طارق بن زياد" هو الذي اضطلع بإنجاز هذا الفتح وتحقيقه، فقد غدا اسمه محفوراً في ذاكرة المكان؛ إذ خلدته الجغرافيا في المضيق الذي عبره نحو شبه الجزيرة الأيبيرية، وفي الجبل الذي انطلقت منه شرارة الفتح. بيد أن ما يثير تساؤل الباحثين هو ذلك التباين بين ضخامة الإنجاز العسكري وشحّ المادة الخبرية المتعلقة بسيرة هذا الفاتح؛ إذ نلحظ غياباً لافتاً لتفاصيل نشأته، وتاريخ ولادته، وكيفية اعتناقه للإسلام، وصولاً إلى الغموض الذي يكتنف مصيره بعد انتقاله إلى المشرق رفقة موسى بن نصير. بل إن هذا الاضطراب امتد ليشمل نسبه وانتماءه القبلي؛ مما جعل من شخصيته مجالاً خصباً للتأويلات المتضاربة. والواقع أن هذا الغموض يعود في جذوره إلى شح المصادر التاريخية في القرنين الأول والثاني الهجريين، وهي إشكالية كبرى لا تقتصر على سيرة طارق بن زياد فحسب، بل تتسحب على مجمل تاريخ بلاد المغرب في تلك الحقبة المبكرة، مما حتم الاعتماد على مصادر القرن الثالث وما بعده.

تأتي هذه الدراسة لتسليط الضوء على هذه الإشكالية، من خلال طرح التساؤلات التالية: كيف قاربت المصادر التاريخية الإسلامية (المبكرة، والوسيطة، والمتأخرة) هوية طارق بن زياد؟ وإلى أي مدى ساهمت تلك المصادر في "بناء" أو "ترميم" هذه الهوية والكشف عن حقيقتها؟ وللاجابة عن ذلك، تعتمد الدراسة المنهج التحليلي النقدي لنصوص المصادر، مع تتبع مسار تطور الرواية التاريخية.

تأسيساً على ما سبق، قُسمت الدراسة إلى ثلاثة مباحث: حُصص المبحث الأول للمصادر المبكرة (القرن 9/هـ - القرن 10/هـ م)؛ لرصد ملامح هوية طارق بن زياد في بواكير التدوين التاريخي. أما المبحث الثاني، فتناول المصادر الوسيطة والمتأخرة (من القرن 11/هـ م إلى القرن 14/هـ م وما بعدها)؛ لبحث كيفية تعاطي هذه المصادر مع تلك الهوية وتطور تمثيلاتها عبر الزمن. في حين تطرّق المبحث الثالث إلى إشكالية "الولاء" عند طارق بن زياد، مستنداً في ذلك إلى نقد الروايات، وتفسير انفراد ابن خلدون في هذه المسألة.

1. هوية طارق في المصادر المبكرة (القرنين 3 و 4 هـ)

1.1. المصادر المشرقية

1.1.1. "تاريخ خليفة بن خياط" لخليفة بن خياط (ت 240هـ / 854م)

ذكر خليفة بن خياط في تاريخه طارق بن زياد باسم 'طارق' مجرداً، دون التصريح باسم أبيه (ابن خياط، 1995، ص. 193). وتكمن الأهمية في هذا الموضوع في وصفه بـ 'المولى' (ابن خياط، 1995، ص. 193)؛ وبذلك يعتبر خليفة بن خياط أنّ طارقاً من الموالى، مما يُعزز الرأي القائل بعدم انتمائه إلى أصول عربية. وعليه، تظل هوية طارق في هذا المصدر محاطة بالغموض.

2.1.1. "فتوح مصر والمغرب" لابن عبد الحكم (ت 257هـ/م 871م)

يلاحظ أن ابن عبد الحكم في كتابه "فتوح مصر والمغرب" أورد لوالد طارق اسمين مختلفين، فمرة يسميه "عمرو"، ومرة أخرى يطلق عليه اسم "زياد" (ابن عبد الحكم، 2004، ص. 232). هذا الاضطراب يدل على عدم تيقن ابن عبد الحكم من اسم والد طارق، وفيه إشارة إلى أن طارقاً لم يكن شخصية معروفة من حيث النسب، في حين أن العرب تشتهر بمعرفة وحفظ أنسابها. يحمل هذا احتمالاً قوياً بأن نسب طارق ليس من الأنساب العربية المعروفة؛ فلو كان طارق عربي النسب لما خفي ذلك على ابن عبد الحكم، لا سيما وأن طارقاً هنا ليس شخصية عادية، بل يشغل منصب نائب والي القيروان موسى بن نصير.

وذكر ابن عبد الحكم في موضع آخر من كتابه على لسان طارق قوله إنه "مولى" لموسى بن نصير (ابن عبد الحكم، 2004، ص. 235). تحمل هذه العبارة دلالة على عدم انتماء طارق إلى القبائل العربية صليبية؛ إذ أصبح مفهوم الموالي في العهد الأموي يشمل كل مسلم غير عربي يدخل في ولاء قبيلة عربية (مباركية، 2012، ص. 107)؛ ووصف طارق نفسه بالمولى يُرجح أنه ليس عربي النسب. على الرغم من المؤشرات السابقة، فإن ابن عبد الحكم لم يصرح بشكل قاطع بهوية طارق الإثنية، ولم يوضح ما إذا كان من سكان بلاد المغرب الأصليين أم من منطقة أخرى.

3.1.1. "فتوح البلدان" للبلاذري (ت 279هـ/م 892م)

يُلاحظ أن البلاذري في كتابه "فتوح البلدان"، يثبت اسم طارق مقترناً باسم أبيه 'زياد' نقلاً عن الواقدي (ت 206 أو 207هـ/م 821 أو 823 م)، حيث جاء فيها: "غزا طارق بن زياد، عامل موسى بن نصير الأندلس...". (البلاذري، 1967، ص. 323). وتكتسب هذه الرواية أهمية بالغة نظراً لأقدمية الواقدي بين الإخباريين الذين أرخوا لهذه الحقبة. ومما يميّز هذه الرواية تصريحها باسم الأب 'زياد'، مما يرجح كفته على اسم 'عمرو' الذي ورد في روايات أخرى مضطربة (مثل رواية ابن عبد الحكم)، أو الاسم المجرد الذي اكتفى به خليفة بن خياط.

4.1.1. "تاريخ اليعقوبي" لابن واضح اليعقوبي (ت 284هـ/م 897م)

يتقاطع اليعقوبي في كتابه "التاريخ" مع نهج خليفة بن خياط، حيث يورد اسم 'طارق' في مصنفه مجرداً من النسب، مع التأكيد المستمر على وصفه بـ 'مولى موسى بن نصير' (اليعقوبي، 1995، مج 2، ص. 285). هذا الإصرار على صفة الولاء بدلاً من النسب الصريح يُعزز حالة الغموض المحيطة بهويته، ويُرجح فرضية عدم انتمائه للأصول العربية.

5.1.1. كتاب "البلدان" لابن الفقيه الهمذاني (ت 290هـ/م 903م)

أفضى المسح النقدي للمصادر التاريخية المشرقية والأندلسية المدونة في القرن الثالث الهجري إلى رصد تقاطعات واختلافات جوهرية حول هوية طارق بن زياد. إذ تشير معظم هذه المصادر إلى انتمائه لفئة "الموالي"، وتحديدًا كونه مولى لموسى بن نصير. ومع ذلك، شاب اسم أبيه بعض الاضطراب في الروايات؛ فبينما تردد

بعضها بين "زياد" و"عمرو"، وحسم البلاذري -نقلاً عن الواقدي- الأمر لصالح "زياد"، وهذا ما أكده الجغرافي المشرقي ابن الفقيه الهمداني في كتابه "البلدان".

حيث ينفق ابن الفقيه مع رواية الواقدي في تثبيت اسم "طارق بن زياد" بشكل قطعي، مبتعداً عن أي صيغ للشك أو التردد. مع سكوته التام عن حالة "الولاء"، وعن الانتماء القبلي أو الجغرافي للقائد الفاتح، مُركزا على الدور الوظيفي العسكري لطارق في الفتح، وعلى صلته بحادثة "مائدة سليمان" (ابن الفقيه، 1996، ص. 134).

6.1.1. تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك لابن جرير الطبري (ت 310هـ/ 923م)

يتفق محمد بن جرير الطبري مع السردية التاريخية المشرقية المبكرة في تصنيف طارق ضمن فئة "الموالي"، إلا أنه يخطو خطوة إضافية بتثبيت اسم أبيه "زياد" بشكل صريح (الطبري، ص. 468، 481)، متلاقياً في ذلك مع رواية الواقدي التي حفظها البلاذري. ومع ذلك، يظل الطبري -رغم موسوعيته- صامتاً عن أي تفاصيل تتعلق بالأصول القبلية أو الجغرافية لطارق، مكتفياً بتعريفه من خلال رابطة الولاء لموسى بن نصير. هذا الصمت المطبق في المصادر المشرقية الكبرى حتى القرن الرابع الهجري يُعد دليلاً قوياً على أن هوية طارق "القبليّة" لم تكن قد تبلورت بعد، أو أنها لم تكن ذات أولوية في الذاكرة التاريخية المشرقية التي تعاطت معه كقائد عسكري تابع للمركزية الأموية عبر والي إفريقية، دون انشغال بجذوره الإثنية.

7.1.1. كتاب "المسالك والممالك" للإصطخري (346هـ/957م)، كتاب صورة الأرض لابن حوقل

(ت 380هـ/990م)، كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي (ت 387هـ/997م)

تجدر الإشارة إلى وجود مفارقة دالة في مسار تشكّل صورة طارق بن زياد في المدونات الإسلامية؛ ففي حين اتسمت المصادر التاريخية المشرقية المدونة في القرن الثالث الهجري بالانتقائية والاختزال، مكتفيةً بذكر اسمه ونسبه الأبوي ووصفه الوظيفي كمولى لموسى بن نصير، مع تغييب تام لأصوله العرقية؛ نجد أن القرن الرابع الهجري شهد تحولاً جذرياً عبر الأدبيات الجغرافية. فقد تحول اسم "طارق" إلى معلم طبوغرافي راسخ، كما وثّق ذلك الجغرافي المشرقي الإصطخري، وكذا الرحالة الذين عاينوا مجال المغرب والأندلس كابن حوقل والمقدسي. فبينما اضطرت كتب التاريخ خلال القرن الثالث الهجري/9م في تحديد هوية طارق (من هو؟)، قدم الإصطخري في كتابه "المسالك والممالك" (الإصطخري، 2004، ص. 75، 58، 59) وابن حوقل في كتابه "صورة الأرض" (ابن حوقل، 1928، ص. 62، 75)، والمقدسي في كتابه "أحسن التقاسيم" (المقدسي، 2002، ص. 181) يقيناً جغرافياً لا يتزحزح (أين هو؟). لقد تحول طارق من 'شخص مختلف فيه' إلى 'مكان متفق عليه'. وهذا التحول يمثل أعلى درجات بناء الهوية، حيث يذوب الشخص ليصبح جزءاً من تضاريس الذاكرة الجماعية.

ويُستشف من هذا التحول أن الغموض الذي اكتنف الهوية العرقية لطارق في السرديات التاريخية السابقة، قابله ترسيخ لهويته "البطولية" المقترنة بحدث الفتح في الذاكرة المجالية للمجتمعين المغربي والأندلسي. وتأسيساً

بناء الهوية في سيرة طارق بن زياد: تحليل نقدي للمصادر التاريخية المبكرة والمتأخرة

على ذلك، يمكن القول إن الجغرافيا قد اضطلعت بعبء "الإنصاف الهوياتي" لطارق بن زياد، وتخليده كرمز مكاني، في الوقت الذي همشته الكتابات التاريخية المبكرة من حيث الاعتراف بنسبه.

واللافت للانتباه، فإن ابن حوقل الجغرافي الرحالة أشار إلى وجود كيان قبلي يحمل اسم 'بني طارق' (ابن حوقل، 1928، ص. 106) في القرن الرابع الهجري، ضمن المنطقة الجغرافية المغربية التي زارها والمجال القبلي البربري، وهذا يطرح احتمالين: إما استمرار العقب البيولوجي للقائد وتحوله إلى عصبية قبلية، وإما -وهو الأهم- التجذر الرمزي لاسم 'طارق' في الذاكرة البربرية المغربية، بحيث أصبح الاسم علامة هوية جامعة، تعادل في رسوخها رسوخ اسمه على الجبل في العودة الأندلسية.

في ضوء ما سبق، يمكن القول إن طارق بن زياد -في المنظور المشرقي خلال القرن الثالث الهجري/9م- قد وقع ضحية "فكي كماشة"؛ فضاعت بداية سيرته لكونه "مولي" لا قيمة لنسبه في النظام القبلي، وغابت نهايتها لكونه "محسوباً" على موسى بن نصير المهزوم سياسياً والمغضوب عليه سلطوياً؛ وتخوف السلطة من كونه منازعاً لها إذا منحته ولاية الأندلس (حقي، 2001، ص. 162)؛ يضاف ذلك، خلو القرن الثالث الهجري من مدونات تاريخية تعنتي بأنسب البربر وتاريخهم المحلي، مع الاعتماد على الرواية الشفوية، مما أدى إلى ضياع أخبارهم، وقد أشار إلى ذلك ابن خلدون متأسفاً في قوله: "فلهم في ذلك آثار نقلها الخلف عن السلف، لو كانت مسطورة لحفظ منها ما يكون أسوة لمتبغيه من الأمم" (ابن خلدون، 2011، ج11، ص. 226).

2.1. المصادر الأندلسية

1.2.1. كتاب "التاريخ" لعبد الملك بن حبيب الأندلسي (ت 238هـ / 852م)

يُعدُّ كتاب "التاريخ" لعبد الملك بن حبيب الأندلسي أقدم وثيقة تاريخية وصلتنا خطها مؤرخاً من داخل الأندلس لا من المشرق. وبحكم أقدميته الزمنية، يتقدم ابن حبيب على مؤرخين مشاركة بارزين مثل خليفة بن خياط، وابن عبد الحكم، واليعقوبي. ورغم الجدل القائم حول نسبة تدوين الكتاب إلى أحد تلاميذ ابن حبيب (بني ياسين، 2002، ص. 127-132)، فإن الثابت أن مرويات فتح الأندلس وخبر طارق بن زياد تستند في أصلها إلى رواية عبد الملك بن حبيب عن شيوخه المصري "ابن وهب" (ت 197هـ / 813م) (عبد الملك بن حبيب، 2008، ص. 143، 146).

وقد ورد ذكر طارق في هذه الروايات باسمه المجرد، دون تفصيلٍ في نسب آبائه أو أجداده، مع الاكتفاء بتحديد هويته كواحد من "الموالي" من غير العرب، وتحديداً كونه مولى للقائد موسى بن نصير (عبد الملك بن حبيب، 2008، ص. 143، 144، 146، 150)، لا مولى لقبيلة عربية أو لسلطة الخلافة مباشرة. وهذا التوصيف الذي أورده ابن حبيب يتطابق مع ما تضمنته المصادر المشرقية التي ألفت في النطاق الزمني نفسه (القرن الثالث الهجري) -كتاريخ خليفة بن خياط وتاريخ اليعقوبي- مما يعزز فرضية النقاء المصادر المشرقية والأندلسية المبكرة في تلك الحقبة على تعريف طارق ضمن فئة الموالي، دون تعيين دقيق لأصوله الأسرية أو القبلية أو الجغرافية؛ الأمر الذي يدل على أن الهوية التفصيلية لطارق لم تكن قد تبلورت أو حُسمت بعد في

المدونات التاريخية حينذاك. ويشير ذلك إلى أن الرواية الأندلسية المبكرة حول هوية طارق كانت ذات جذور مشرقية؛ إذ اعتمد ابن حبيب في نقله سماعاً على شيخه ابن وهب المصري، الذي استقى روايته بدوره عن الليث بن سعد (ت 175 هـ / 791م) (عبد الملك بن حبيب، 2008، ص. 146).

والجدير بالملاحظة أن عبد الملك بن حبيب -رغم إغفاله نسب طارق بن زياد- أورد صفاتٍ جسديةً له، واصفاً إياه بأنه "طوال أشقر" (عبد الملك بن حبيب، 2008، ص. 143)، وهذه السمات، من طول القامة واللون الأشقر، هي التي دفعت الباحث عبد العزيز سالم إلى ترجيح الأصل البربري لطارق؛ إذ يرى أنها "صفات تتوفر في شعب البربر" (سالم، 1997، ص. 71)، ونستشف من ذلك أن الأوصاف التي أوردها ابن حبيب قد تُعزز الفرضية القائلة بأصوله البربرية.

2.2.1. "تاريخ افتتاح الأندلس" لابن القوطية (ت 367 هـ / 983م)

يلاحظ أن ابن القوطية قد اكتفى في كتابه "تاريخ افتتاح الأندلس" بنسبة طارق إلى أبيه "زياد" (ابن القوطية، 1994، ص ص. 73، 74، 77، 78)، دون الخوض في طبيعة علاقته بموسى بن نصير، أو ذكر تفاصيل انتمائه القبلي والجغرافي. وبذلك، ينسجم ابن القوطية مع حالة الغموض التي اكتنفت شخصية طارق في المصادر المشرقية والأندلسية خلال القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي)؛ إذ أحجمت تلك المصادر -سواء عن جهل أو تجاهل- عن تقديم شجرة نسب مفصلة للقائد الفاتح، مقتصرةً على إيراد اسمه، واسم أبيه، وصفة الولاء. ويمكن عزو هذا العزوف عن تحري أصول طارق بن زياد في مدونة ابن القوطية إلى "الأجندة الشعبوية" المضمرة للمؤلف (محمود شاكر، 1990، ص. 20)؛ إذ ينصب اهتمامه الرئيس على إعادة الاعتبار لأصوله القوطية عبر التركيز المكثف على أخبار أسرة جده "غيطشة". لقد وظف ابن القوطية كتابه لتوثيق الشرعية التاريخية والاجتماعية للقوط، مفتتحاً نصّه بأخبارهم (ابن القوطية، 1994، ص ص. 73-75)، مما أفضى بالتبعية إلى تهميش السير الشخصية لقادة الفتح من البربر والعرب. بل يذهب المؤلف أبعد من ذلك في توظيف الروايات التاريخية -مثل خبر أرطباس بن غيطشة مع الصميل بن حاتم وميمون العابد- لتقديم صورة نمطية سلبية للفاتحين، تظهرهم بمظهر الغلظة والجهل الحضاري مقارنة بالحكمة والرفعة التي أسبغها على النخبة القوطية المحلية (ابن القوطية، 1994، ص ص. 93-95).

علاوة على ذلك، يتخذ ابن القوطية موقفاً سلبياً صريحاً من جهود طارق بن زياد في فتح الأندلس؛ فهو ينسب النصر العسكري في مواجهة "لذريق" إلى أبناء غيطشة، واصفاً إياهم بأنهم "كانوا سبب الفتح" (ابن القوطية، 1994، ص. 74)، كما يبرز دور "يولييان" كعامل جوهري في ذلك (ابن القوطية، 1994، ص. 76). وهو بهذا المسلك لا يكتفي بإهمال سيرة طارق ونسبه فحسب، بل يكاد يلغي دوره الفعلي في الفتح، مختزلاً محفزاته في الاعتماد على الرؤى المنامية والتبشير بالنبي محمد ﷺ (ابن القوطية، 1994، ص. 77). ولم يقف ابن القوطية عند حدود التهميش العسكري، بل تجاوز ذلك إلى وصم طارق بالوحشية عبر نسبة أفعال شنيعة إليه، كقتل أسرى الحرب وطبخ لحومهم (ابن القوطية، 1994، ص. 77، بني ياسين، 2002، ص ص.

(242-243)، وإضافة على كل ذلك، فهو في عموم كتابه لم تكن له عناية لافتة بالنسب (بني ياسين، 2002، ص. 254)

3.2.1. "أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم" لمؤلف مجهول (كان على قيد الحياة في القرن الرابع الهجري/ 10م)

يُعدّ كتاب "أخبار مجموعة في فتح الأندلس" لمؤلف مجهول، محطةً مفصلية في تتبع هوية القائد طارق بن زياد؛ نظراً لتمييزه عن السرديات التي استقرت في مصادر القرنين الثالث والرابع الهجريين. ينفرد هذا المصدر بتقديم روايتين متباينتين: تصف أولاهما طارق بن زياد بأنه «فارسي همداني» ومولى لموسى بن نصير (Anónimo, 1867, p. 20)، بينما تنفي الثانية ولاءه لموسى، وتنسبه إلى ولاء قبيلة «صدف» اليمينية (مؤلف مجهول، 1867، ص. 06).

وقبل مناقشة هاتين الروايتين، تجدر الإشارة إلى إشكالية تأريخ النص؛ فقد ذهب المستشرق الهولندي "دوزي" إلى أنّ الكتاب وُضع في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي)، مستنداً إلى وصف المؤلف لعصره بالنفك (العبادي، بلا تاريخ، ص. 316)، كما يظهر في قوله عن عمر بن عبد العزيز: «وكان رأيه انتقال أهلها منها لانقطاعهم عن المسلمين، وليت الله كان أبقاه حتى يفعل، فإن مصيرهم إلى بوار، إلا أن يرحمهم الله» (مؤلف مجهول، 1867، ص. 23). في المقابل، يرجّح المستشرق الإسباني "خوليان ريبيرا" أنّ المؤلف عاش في القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، معللاً ذلك بتدّمر الكاتب من تهمة السلطة الأموية للعرب، وهو ما عدّه سبباً في تدهور أوضاع الأندلس (العبادي، بلا تاريخ، ص. 316). ومع ذلك، فالمقطع به أنّ المؤلف كان حياً بعد سنة 350هـ/962م، بدليل حديثه عن عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر: «واتصل ملك عبد الرحمن خمسين سنة، في عزّ منيع...» (مؤلف مجهول، 1867، ص. 154).

من جهة أخرى، يتطابق النصّ الذي أورده صاحب كتاب "أخبار مجموعة" حول أصل طارق بن زياد مع نصّين آخرين أوردهما كلّ من ابن عبد المنعم الحميري (ت 750هـ/1349م) (بويابة، 2011، ص. 166) في كتابه «الروض المعطار في خبر الأقطار»، والمقري (ت 1041هـ/1631م) في «نفح الطيب» تطابقاً كبيراً. ويكشف هذان النصّان عن مسألتين جوهريتين:

الأولى: تقاطع قراءة المستشرق "إميليو لافونتي ألكانتارا" لعبارة «كان فارساً همدانياً» (الواردة في الملحق العربي) (مؤلف مجهول، 1867، ص. 06) مع ما أورده كل من الحميري والمقري سابقاً؛ حيث ترجمها في النسخة الإسبانية إلى «فارسيّاً همدانياً» (Anónimo, 1867, p. 20)، وما يُثبت صحة قراءة هذا المستشرق هو نصوص الحميري والمقري ذاتها؛ فأولهما ذكر أنّ موسى بن نصير دعا: "... مولى له كان على مقدماته يسمى طارق بن زياد، قيل هو فارسي" (الحميري، 1980، ص. 35)، وثانيهما نقل عن كتاب الخرائطي ما نصه: «فدعا [موسى بن نصير] مولى له كان على مقدماته يُسمى طارق بن زياد بن عبد الله، فارسياً همدانياً» (المقري، بلا تاريخ، ج1، ص. 254). أما المحقق إبراهيم الأبياري، فقد اكتفى بالاعتماد على الملحق العربي،

وأورد العبارة كما هي دون الرجوع إلى الترجمة الإسبانية التي تُرجم التصويب (مؤلف مجهول، 1989، ص. 17).

الثانية: تشير المقارنة الدقيقة بين نصي الحميري والمقري والنص الوارد في «أخبار مجموعة» إلى وجود إضافات في «الروض المعطار» وفي «النفح» لا نجدها في النسخة المحققة لـ «أخبار مجموعة»، التي تضمنت فقط روايتين وهما: (فارسي همذاني، أو مولى لقبيلة صدف). أما الحميري والمقري فقد أوردا روايتين إضافيتين: الأولى أنّ طارقاً عربي يماني ليس من الموالي، والثانية أنّه بربري من قبيلة نفزة. وقد ذكر الحميري هاتين الإضافتين في قوله: "...وقيل هو من الصدف وقيل ليس بمولى وقيل هو بربري من نفزة..." (الحميري، 1980، ص. 35)، أما المقري فقد أوردهما في قوله: "فدعا مولى له... يُسمى طارق بن زياد... فارسياً همذانياً - وقيل: إنه ليس بمولى لموسى، وإنما هو رجل من صدف... وقيل: إنه بربري من نفزة" (المقري، بلا تاريخ، ج1، ص. 254).

ومما يلفت الانتباه، أنّ النص الذي أورده الحميري والمقري نجد نظيره في كتاب «صلة السمط وسمه المرط» لابن الشباط (ت 681هـ / 1282م)، والاختلاف البارز بين هذه النصوص الثلاثة يكمن في أمرين: الأمر الأول: أنّ ابن الشباط يصرح بمصدر النص المقتبس بينما الحميري والمقري لا يفعلان ذلك، وهذا مما يمنح نص ابن الشباط قيمة توثيقية تاريخية. والمصدر الذي اعتمد عليه صاحب كتاب «صلة السمط» هو المؤرخ والجغرافي أبو عبيد البكري (ت 487هـ / 1094م)، حيث ينقل عنه قوله: «أن طارق بن زياد هذا مولى موسى بن نصير فارسي همذاني، قال وقد قيل إنه من الصدف وليس بمولى لموسى، ولي بالأندلس وله بقية ينكرون ولاء موسى إنكاراً شديداً. قال: وقال الرازي: طارق بن زياد بربري من نفزة ويقال إنهم من موالي صدف» (ابن الشباط، 1971، ص. 168).

والراجح أنّ ابن الشباط اقتبس هذا النص من كتاب «المسالك والممالك» للبكري؛ فقد صرح بأنّه رجع إلى النسخة الكاملة من هذا الكتاب، ونقل منها معلومات لا نجدها في النسخ التي وصلت إلى المحققين (ابن الشباط، 1971، ص. 22). ويؤكد ذلك ما ذهب إليه الباحث عبد الرحمن علي الحجي من أنّ كتاب البكري «لم يصلنا كله، وحتى ليظهر أن بعض قطع هذا الكتاب عبارة عن مختصرات» (البكري، 1968، ص. 34)، وهذا ما يفسر عدم وجود النص الذي أورده ابن الشباط نقلاً عن البكري في كتاب «المسالك والممالك» المحقق والمطبوع. والجدير بالملاحظة، أنّ هذه النصوص المتطابقة، وما تضمنته من روايات متضاربة متعلقة بهوية طارق بن زياد، كانت متداولة في القرن الرابع الهجري (10م) من خلال كتاب «أخبار مجموعة»، وفي القرن الخامس الهجري (11م) استناداً إلى النص الذي اقتبسه ابن الشباط من كتاب «المسالك والممالك» للبكري.

والأمر الثاني الذي يجعل نص ابن الشباط يختلف عمّا ورد في «الروض المعطار» و«نفح الطيب» هو عبارة: "وقال الرازي: طارق بن زياد بربري من نفزة ويقال إنهم من موالي صدف" (ابن الشباط، 1971، ص. 168). ويلاحظ في هذا النص أنّ المقصود بالرازي هو أحمد بن محمد الرازي بناءً على ما ذكره محقق نص

بناء الهوية في سيرة طارق بن زياد: تحليل نقدي للمصادر التاريخية المبكرة والمتأخرة

"ابن الشباط" (ابن الشباط، 1971، ص. 23)، وأن الذي نقل رواية الرازي هو أبو عبيد البكري. ويُحتمل أن تكون هذه الرواية مستقاة من كتاب «الاستيعاب في مشاهير أهل الأندلس» لأحمد بن محمد الرازي، وهو كتاب في أنساب الأندلس (بني ياسين، 2002، ص. 161، 165). وتكمن أهمية هذه الرواية الرازية في أنها تقرر أن أحمد الرازي، المتوفى سنة 344هـ، قد سبق مؤلف «أخبار مجموعة» -الذي توفي بعد سنة 350هـ- في تناول أصل طارق بن زياد ببحث معمق. فبينما اكتفت المصادر المشرقية والأندلسية المبكرة بوصفه بالمولى، واقتصر صاحب كتاب «أخبار مجموعة» على سرد الروايات المتعارضة دون ترجيح أو تحقيق، تجاوز الرازي هذه الإشارات المختصرة ونقّب في الروايات المتعددة، ولم يكتفِ بالعرض والتجميع، بل رجّح الرواية التي تنسب طارقاً إلى البربر وتحديداً إلى قبيلة نفزة.

وللوقوف على حيثيات ترجيح الرازي لبربرية طارق واستبعاده للأصول الفارسية أو العربية، لا بد من إخضاع الروايات للنقد التاريخي. فالرواية التي تجعل أصله فارسياً همذانياً تصطدم بإشكالات عسكرية؛ إذ يؤكد مؤلف كتاب "أخبار مجموعة" أن جيش الفتح كان «جَلَّهم البربر والموالي، وليس فيهم عرب إلا قليل» (مؤلف مجهول، 1867، ص. 06). وهنا يُطرح التساؤل: كيف يُعيّن موسى بن نصير قائداً فارسياً غريباً لغةً وثقافةً على جيش بربري؟ (عبد العزيز سالم، 1997، ص. 71، العبادي، بلا تاريخ، ص. 55) فهذا يناقض السياسة العسكرية التي أرساها حسان بن النعمان بالاعتماد على القيادات البربرية (مباركية، 2021، ص. 108). أما الروايات التي تنسبه إلى العرب اليمانيين فتتعارض مع إجماع المصادر المبكرة على كونه مولى، ولأن العرب يهتمون ببيان أنسابهم، فلو كان طارقاً بن زياد عربياً لكان نسبه واضحاً لا غموض فيه (العبادي، بلا تاريخ، ص. 55).

تظل الرواية الأكثر انسجاماً مع السياق التاريخي هي التي تنسبه إلى البربر (نفزة)، وهي الرواية التي رجّحها الرازي، وذهب إليها أكثر المؤرخين (ابن عذارى المراكشي، 2013، ج2، ص. 10) والباحثين المعاصرين (العبادي، بلا تاريخ، ص. 55، عنان، 1997، ج1، ص. 40، خطاب، 2003، ج1، ص. 216-219، مؤنس، 2002، ص. 129، عبد العزيز سالم، 1997، ص. 71)؛ لكونها الأقرب لواقع طارق كقائد لجيش محلي.

ختاماً، لولا النص الذي حفظه ابن الشباط، لظلت هوية طارق في «أخبار مجموعة» محاطة بالاضطراب. لقد كشف هذا النص عن دور المؤرخ أحمد الرازي في تأسيس الرواية التاريخية التي تؤكد الأصول البربرية (النفزاوية) لطارق بن زياد، وهو ما يمثل تحولاً مفصلياً في سيرة فاتح الأندلس، بنقله من مجرد مولى تابع لموسى بن نصير، إلى شخصية ذات جذور هوياتية أصيلة في بلاد المغرب الإسلامي.

2. تحولات الهوية في المصادر الوسيطة والمتأخرة (من القرن 5 هـ إلى القرن 8 هـ)

1.2. "جمهرة أنساب العرب" لابن حزم الأندلسي (ت 456هـ / 1064م)

شهدت عملية التأريخ لهوية طارق بن زياد تحولات مفصلية، إذ انتقلت من مرحلة الاضطراب والغموض

التي اكتفت بتوصيفه بـ "المولى" فحسب - كما يبدو في المصادر المشرقية والأندلسية خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين - إلى مرحلة تعدد السرديات الهوياتية التي برزت في كتاب «أخبار مجموعة في فتح الأندلس». حيث طُرحت فرضيات متباينة تنسبه تارةً إلى أصول فارسية، وتارةً بوصفه مولى لقبيلة عربية يمنية، أو عده من صميم عرب اليمن، أو انتسابه إلى قبيلة نفزة البربرية؛ وهذا ما رجّحه أحمد الرازي، مؤرخ الدولة الأموية بالأندلس. وفي منعطف توثيقي هام، يكشف ابن حزم الأندلسي عن أبعاد سوسولوجية وأسرية جديدة لهوية طارق بن زياد في كتابه «جمهرة أنساب العرب». فقد أثبت له امتداداً عائلياً ومكانة اجتماعية ذات تأثير علمي في الأندلس، مشيراً إلى وجود رابطة مصاهرة بين أخت طارق وعائلة من أصول صنهاجية بربرية. وقد ذكر ذلك في قوله: «ومنهم بأشونة: بنو عبد الوهّاب، وهم من ولد ميمون بن أبي جميل، وهو ابن أخت طارق بن زياد... وكانت لهم ثروة وعدد...» (ابن حزم، 1962، ص 503). وتُعد هذه الإشارة قرينة قوية ترجح الرواية القائلة بالانتماء البربري لطارق؛ نظراً لأن البربر شكلوا كتلة اجتماعية متميزة في الأندلس، مما يجعل دائرة المصاهرة غالباً محصورة في نطاقهم الإثني.

علاوة على ذلك، فإن إيراد ابن حزم لطارق بن زياد ضمن سياق سرده لأنساب الأسر البربرية يعزز فرضية النسب البربري ويجعلها أكثر واقعية مقارنة بالفرضيات الفارسية أو العربية. وبذلك، نقل ابن حزم مسألة هوية طارق من دائرة تضارب الروايات إلى أرضية الواقع الأندلسي المعاش، مثبتاً أن له ذرية تتوارث اسمه ومكانته. وتتلاقى هذه المعطيات مع ما أورده ابن الشباط نقلاً عن أبي عبيد البكري في قوله: «وله بقية ينكرون ولاء موسى إنكاراً شديداً» (ابن الشباط، 1971، ص. 168)، وأيضاً ما نقله المقرئ في «فتح الطيب» عن «كتاب الخزانة»، حيث أشار إلى أن لطارق «بعض عقبه بالأندلس ينكرون ولاء موسى إنكاراً شديداً» (المقرئ، بلا تاريخ، ج1، ص. 254)؛ مما يؤكد أن طارقاً لم يكن مجرد «مولى» تلاشى ذكره بغياب سيده، بل ظل حاضراً عبر ذريته، وراسخاً في المجالين الاجتماعي والجغرافي للأندلس.

2.2. اقتباس الأنوار والتماس الأزهار في أنساب الصحابة ورواة الآثار لأبي محمد الرشاطي (ت 542هـ/1147م)

يُلاحظ عند استقراء مصادر القرن الخامس الهجري التي وصلت إلينا، أنها لم تتناول هوية طارق بن زياد بذلك التفصيل الدقيق الذي انفرد به صاحب كتاب «أخبار مجموعة في فتح الأندلس». فكما سبق الذكر، جاءت إشارة ابن حزم في «جمهرة أنساب العرب» - على أهميتها - عرضية ومقتضبة. وعلى المنوال ذاته، اكتفى البكري في «المسالك والممالك» بذكر اسمه واسم أبيه دونما تفصيل إضافي. أما الحميدي (ت 488هـ/1095م) في كتابه «جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس»، فرغم تخصيصه ترجمة لطارق ضمن الشخصيات السياسية، فقد اكتفى بتريده ما أورده ابن عبد الحكم سابقاً في «فتوح مصر والمغرب» حول الاضطراب في اسمه بين «عمرو» و«زياد» مما يدل على اعتماد الحميدي على المصادر المشرقية لكونه ألف كتابه «جذوة المقتبس» في المشرق (بوابية، 2011، ص. 74)، فنجدّه يذهب إلى ترجيح اسم «عمرو» وعدّ «زياد» رأياً مرجوحاً؛ حيث قال:

"طارق بن عمرو، ويقال: ابن زياد" (الحميدي، 1966، ص. 248)، وقد تابعه في ذلك أحمد بن عميرة الضبي (ت 599هـ/1202م) في مصنفه "بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس"، والذي و هو ذيلاً على كتاب "جذوة المقتبس" للحميدي (الضبي، 1967، ص. 328، بوباية، 2011، ص. 106).

بيد أن القرن السادس الهجري حمل تطوراً نوعياً في هذا السياق على يد الحافظ والنسابة أبي محمد الرشاطي؛ إذ قدّم في كتابه «اقتباس الأنوار والتماس الأزهار في أنساب الصحابة ورواة الآثار» نقلاً عن كتاب "اختصار اقتباس الأنوار" لابن الخراط الإشبيلي (ت 582هـ / 1186م) -وتحديداً في الجزء المخصص لأنساب الأندلسيين- إضافات جوهرية حول هوية طارق. فقد أورد، كسابقه، أن طارقاً كان مولى لموسى بن نصير، لكنه انفرد بذكر اسم جده «عبد الله» في قوله: «... واستعمل موسى مولاه طارق بن زياد بن عبد الله...» (الرشاطي، 1990، ص. 103). وتحمل هذه الزيادة في سلسلة النسب دلالة محتملة على عراقية إسلام الأسرة وتعريب أسمائها.

وعلاوة على ذلك، لم يكتفِ الرشاطي بسرد الروايات المتداولة -كمسألة ولائه لصدف اليمينية التي تشارك فيها مع صاحب «أخبار مجموعة»- بل تجاوز ذلك إلى النقد والتمحيص؛ حيث أورد رواية الولاء للصدف بصيغة التمريض «وقيل»، لينتقل بعدها إلى الترجيح الجازم للأصل البربري قائلاً: «... وهو من البربر من قبيلة نفزة» (الرشاطي، 1990، ص. 103).

واللافت للانتباه أن هذه العبارة تتطابق مع العبارة التي نقلها ابن الشباط عن الرازي، مما يرجح أن الرشاطي قد رجع إلى مصنفات أحمد الرازي واقتبس منها هذه العبارة التي تقرر أن طارق بن زياد أصله من نفزة البربرية. وبذلك، يُعد الرشاطي ثاني مؤرخ ونسابة أندلسي -إلى جانب أحمد الرازي- يحسم الهوية القبلية والإثنية لطارق بن زياد بوضوح، مرجحاً انتسابه إلى قبيلة نفزة، ومستبعداً الفرضيات الأخرى الفارسية أو العربية، وذلك في حدود ما وصلنا من المدونات التاريخية.

تأسيساً على ما سبق، فإن أحمد الرازي والرشاطي لم يقوما فقط بسد «الفجوة المعرفية» التي تركها ابن حزم -الذي جاءت إشارات مقتضبة- بل تجاوزا ذلك إلى التحقيق والتحرير. وبما أن القاعدة العلمية تقضي بتقديم قول «المختص» في فنه، فإن قول أحمد الرازي والرشاطي في نسب طارق يُعد هو الرأي الراجح والمعتمد؛ لكونه صادراً عن مؤرخين جمعا بين الدراية التاريخية والخبرة بالأنساب وطبائع القبائل في المجتمع الأندلسي.

ومما يلفت الانتباه، أنّ المصادر المشرقية حتى القرن السادس الهجري/ 12م لم تحسم القول بصورة دقيقة في تحديد هوية طارق بن زياد. ويتجلى ذلك في كتاب "تاريخ دمشق" لابن عساكر (ت: 571هـ/1176م)، إذ أورد اسمين لوالد طارق؛ فتارةً يسميه "زياداً"، وتارةً أخرى يطلق عليه "عمرو" (ابن عساكر، 1995، ج24، ص. 418)، وهذا يُشير إلى اعتماده على كتاب "فتوح مصر والمغرب" لابن عبد الحكم. والأكد أنه رجع أيضاً إلى كتاب "جذوة المقتبس" للحميدي، بدليل ذكره لهذا الكتاب بالاسم مراتٍ عدّة في ثنايا ترجمته لطارق كمصدر لمعلوماته (ابن عساكر، 1995، ج24، ص. 419-420).

علاوة على ذلك، نجدُ صاحب "تاريخ دمشق" ينسب طارقاً إلى قبيلة "الصدف" اليمينية بقوله: "طارق بن زياد، ويقال ابن عمرو الصدي" (ابن عساكر، 1995، ج24، ص. 418)، دون توضيح ما إذا كان هذا الانتماء ولاءً أم نسباً. وهنا يبدو أن ابن عساكر استند إلى روايات أندلسية واقتبس منها هذا الجزء فقط، ثم انفرد برواية مفادها أن طارقاً من موالى الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك، حيث أوردها بصيغة التمرريض بقوله: "ويقال مولى الوليد بن عبد الملك" (ابن عساكر، 1995، ج24، ص. 418). وفي الترجمة ذاتها، يؤكد أنه مولى لموسى بن نصير (ابن عساكر، 1995، ج24، ص. 419-420)؛ مما يعكس حالة الاضطراب وتداخل الروايات في ترجمته.

وخلاصة القول، إنه في حين رجّحت المصادر الأندلسية في القرنين الرابع والسادس الهجريين / 10-11م - عبر مصنفات أحمد الرازي والرّشاطي - أصول طارق البربرية ونسبته إلى "نفزة"، بقيت المصادر المشرقية حتى القرن السادس الهجري / 12م حبيسةً جمع الروايات المتضاربة دون ترجيحٍ أو تمحيص.

3.2. "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" للشريف الإدريسي (ت 558هـ/1163م)

تجدر الإشارة إلى أن المؤرخ أحمد الرازي والنسابة أبا محمد الرشاطي لم ينفردا بترجيح الهوية البربرية لطارق بن زياد في حدود ما توفر من مصادر؛ إذ تصدى الشريف الإدريسي -وهو أبرز جغرافيين العصر الوسيط- للكشف المفصل عن أصول طارق في مُصنّفه «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق». ويلتقي الإدريسي مع الرشاطي في إثبات الأصل البربري لطارق، بيد أنه يخالفه في سرد سلسلة نسبه؛ فبينما ينسبه الإدريسي إلى «عبد الله» مباشرة، يثبت الرشاطي أن طارقاً هو ابن «زياد»، وأن «عبد الله» هو جده (الرشاطي، 1990، ص. 103)، ويبدو أن الإدريسي قد أسقط اسم «زياد» على سبيل الاختصار. علاوة على ذلك، يضيف الإدريسي في سلسلة النسب اسماً ثالثاً ذا دلالة بربرية وهو: «ونمو» (الإدريسي، 1989، ج2، ص. 539-540). وعلى مستوى الفرع القبلي، يظهر تباين آخر؛ ففي حين ينسبه الإدريسي إلى «زناتة»، يعدّه أحمد الرازي والرشاطي من «نفزة».

وبالاحتكام إلى عبد الرحمن بن خلدون لفك اشتباك هذا التباين، نجد أن «نفزة» بطن عظيم من بطون البتر ينتسب إلى نفزاو بن لوى بن مادغيس الأبتري، في حين تتحدر «زناتة» من «شانا» (أو جانا) الذي ينتهي نسبه إلى ضري بن مادغيس الأبتري؛ وعليه فهما ابنا عمومة يجمعهما جد واحد وينضويان تحت شعوب البتر (ابن خلدون، 2011، ج11، ص. 196، 2012، ج13، ص. 04). وهذا التقارب يفسر التداخل الذي وقع فيه الإدريسي حين خالف الرشاطي والرازي، فجعل طارقاً زناتياً لا نفزياً.

ويمكن القول إن الرأي الأرجح في هذا الخلاف هو ما ذهب إليه الرازي والرّشاطي؛ نظراً لتخصصهما الدقيق في التاريخ وعلم الأنساب، بينما يغلب الطابع الجغرافي على الإدريسي؛ وتحقيق الأصول القبلية هو من صميم اختصاص علماء النسب. ولعل التقارب النسبي بين نفزة وزناتة -لكونهما من أرومة واحدة- هو ما سوّج للإدريسي نسبة طارق إلى زناتة. ويُعضد هذا الترجيح ما أورده ابن حزم في "الجمهرة" من أن "ونمو" -الذي

بناء الهوية في سيرة طارق بن زياد: تحليل نقدي للمصادر التاريخية المبكرة والمتأخرة

ذكره الإدريسي جداً لطارق - هو من ولد ورفجوم بن ترغاسن بن إهاص، وأن والد إهاص هو "يطوّفت" الملقب بنفزاو بن لوى (ابن حزم، 1962، ص. 497). وبناءً على ذلك، فإن "ونموا" المذكور في «نزهة المشتاق» يُعد -وفقاً لابن حزم- من نفزة وليس من زناتة. وهكذا، فرغم اتفاق الأعلام الثلاثة على الهوية البربرية، إلا أنهم تباينوا في تحديد الفرع القبلي الدقيق.

ويلاحظ أن الإدريسي جزم بنسب طارق البربري، مُعرضاً عن ذكر الروايات الأخرى؛ حيث ساق نسبه مرتين بصيغة: «... طارق بن عبد الله بن ونموا الزناتي» (الإدريسي، 1989، ص. 539-540). ويحمل هذا دلالة واضحة على أن هذا الجغرافي الكبير قد توفرت لديه من أمهات المصادر، إلى جانب استناده إلى المشاهدات الميدانية لواقع القبائل البربرية وتوزيعها الجغرافي في عصره، وهو ما مكّنه من أن يُقرّ بيقين -ودون تردد- بربرية طارق بن زياد.

تأسيساً على ما سبق، فإن ثلاثة من كبار أعلام الأندلس: أحمد الرازي (المؤرخ والنسابة)، والرشاطي (النسابة)، والإدريسي (الجغرافي)، قد أظهروا عنايةً لافتةً بتأصيل هوية طارق بن زياد التاريخية، مؤكدين انتماءه البربري المغاربي.

4.2. "الكامل في التاريخ" لابن الأثير (ت 630هـ / 1233م)، "وفيات الأعيان" لابن خلكان (ت 681هـ / 1282م)

تجدر الإشارة إلى أن المصادر المشرقية في القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) بدأت تظهر تأثراً واضحاً بالروايات المغربية والأندلسية فيما يخص نسب طارق بن زياد. ويتجلى ذلك عند المؤرخ المشرقي ابن الأثير في كتابه "الكامل في التاريخ"، حيث ينقل عن مصادر أندلسية أن موسى بن نصير: «اسْتَعْمَلَ عَلَى طَنْجَةَ مَوْلَاهُ طَارِقَ بْنَ زِيَادٍ، وَيُقَالُ: إِنَّهُ صَدْفِيٌّ» (ابن الأثير، 1997، ج4، ص. 21). ويلاحظ هنا أن ابن الأثير اكتفى بإثبات عربيته ونسبته إلى قبيلة "صدف" اليمانية، مغفلاً نسبه البربري (النفزي) الذي شاع في الروايات الأندلسية.

أما تلميذه ومعاصره ابن خلكان، فقد تقاطع مع شيخه في ذكر انتماء طارق إلى قبيلة "صدف" وعلاقة ولائه بموسى، إلا أنه تمايز عنه بالتصريح بأصل طارق البربري، موضحاً ذلك بقوله: «واستعمل على طنجة وأعمالها مولاه طارق بن زياد البربري، ويقال إنه من الصدف» (ابن خلكان، 1994، ج5، ص. 320).

واللافت للنظر في كلا النصين، أن المؤرخين أوردوا نسبة طارق إلى قبيلة "صدف" بصيغة التمييز ("يُقَالُ") الدالة على عدم الجزم، وكلاهما استند في ذلك إلى مصادر أندلسية. وهذا يمثل تحولاً جذرياً عما كان سائداً في القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي)، حين كانت المصادر الأندلسية -وعلى رأسها كتاب "التاريخ" لعبد الملك بن حبيب السلمي- هي التي تعود إلى المصادر المشرقية لاستقاء المعلومات حول أصول الفاتحين.

5.2. مؤرخو القرن الثامن الهجري (14م): ترسيخ الهوية البربرية لطارق بن زياد

1.5.2. أبو عبيد الله (أو أبو علي) صالح بن عبد الحليم الإيلاني المصمودي (كان حيا سنة 712هـ / 1312م)

بحلول القرن الثامن الهجري، طرأ تحول نوعي على مسار الكشف عن التفاصيل المتعلقة بهوية طارق بن زياد؛ فبينما كان معظم من أسهموا في البحث التاريخي عن أصوله خلال القرون السالفة - من مؤرخين ونسابة وجغرافيين - من غير البربر، وعلى رأسهم أحمد الرازي والرشاطي والإدريسي؛ شهد القرن الثامن الهجري (14م) ظهور مؤرخين ونسابة من البربر انبروا لتدوين تاريخهم المحلي وتوثيق أصولهم وأنسابهم.

ومن أبرز هؤلاء: أبو عبيد الله (أو أبو علي) صالح بن عبد الحليم الإيلاني المصمودي، الذي كان لا يزال حياً سنة 712هـ / 1312م (بويابة، 2011، ص. 159)، في حين ذكر الباحث محمد المنوني أنه توفي سنة 726هـ / 1326م (المنوني، 1983، ج1، ص. 68). وقد وُصف ابن عبد الحليم بأنه «الشيخ الفقيه الصالح العالم التاريخي» (مؤلف مجهول، 2005، ص. 171)؛ إذ جمع بين الفقه - كما يظهر في مؤلفه «رسالة القبلة في المغرب والأندلس» - وبين التاريخ، وتجلّى ذلك في وضعه لكتابين في تاريخ القبائل البربرية، وهما: كتاب «الأنساب»، وكتاب «مفاخر البربر» (الإيلاني، 2013، ص. 31).

وقد تطرق صالح بن عبد الحليم في كتابه «الأنساب» إلى نسب طارق بن زياد، مؤكداً ومُدعماً لما ذهب إليه كل من أحمد الرازي والرشاطي والإدريسي، ومستنداً في ذلك إلى مؤرخين ونسابة من البربر ذوي معرفة راسخة بأنساب قومهم. ويبرز في مقدمة مصادره: أبو عبد الله محمد بن أبي المجد المغيلي (عاش في القرن 5هـ / 11م)، وهو أحد كبار نسابة البربر ومن العلماء الفقهاء، رغم أننا لا نعرف عنه ولا عن مصنفه «أنساب البربر وملوكهم» الشيء الكثير إلا ما حفظه لنا النقل (مؤلف مجهول، 2005، ص. 172، المنوني، 1983، ج1، ص. 26، بويابة، 2002، ص. 125).

وقد اعتمد صالح بن عبد الحليم اعتماداً كبيراً على المغيلي في كتابه «الأنساب» لتحديد نسب طارق، حيث يورد قائلاً: «قال [ابن] أبي المجد المغيلي: ... وأما نفاوة منهم من أولاد نفاو بن بر، بن مادغس، زجيك، بن لوا. ومن نفاوة: طارق بن زياد - الذي فتح جزيرة الأندلس - بن عبد الله، بن ونمو، بن ورفجوم، بن ينزغاسن، بن ولهاص، بن يطوفت، بن نفاو» (Ya'la', 1996, pp. 48-49).

وجديرٌ بالملاحظة أنّ سلسلة النسب التي أوردها ابن عبد الحليم في كتابه (الأنساب) لطارق بن زياد، قد اقتبسها عن كتاب (أنساب البربر وملوكهم) للمغيلي؛ وهو مصدرٌ ذو قيمة توثيقية وتاريخية كبرى في مضماره، لكونه يعود إلى القرن الخامس الهجري، مما يجعله يمثل حلقة وصلٍ مبكرة في تدوين أنساب البربر. إنّ هذا النوع من التدوين يمثل مجالاً تاريخياً أغفلته المصادر المشرقية والأندلسية المبكرة، نظراً لانشغالها بمركزية الرواية الأموية والعباسية في المشرق، والرواية الأموية في الأندلس. لذا، يمكن القول إنّ مُصنّف المغيلي يُعدُّ من المصادر البكرة فيما يخص الأنساب البربرية والتاريخ المحلي، وهذا ما يضيف على سلسلة نسب طارق بن زياد

بناء الهوية في سيرة طارق بن زياد: تحليل نقدي للمصادر التاريخية المبكرة والمتأخرة

المقتبسة عنه صفة الرواية الأصلية الموثقة بمصادر "بربرية متخصصة" في وقت مبكر من تاريخ المغرب الإسلامي. وبناءً عليه، لم يعد من الدقة المنهجية الزعم بأن هذه الرواية ظهرت فجأة في القرن الثامن الهجري/14م كمنتج لمصادر متأخرة تفنقر إلى سندٍ في المدونات المبكرة أو القريبة منها.

ومما يعزز صحة هذه السلسلة الواردة في كتاب (الأنساب) لابن عبد الحليم الإيلاني، هو تطابقها التام مع ما ذكره أحمد الرازي من حيث انتماء طارق لقبيلة نفزة (ابن الشباط، 1971، ص. 168)، ومع ما أثبتته الرشاطي من أن طارقاً هو "ابن زياد بن عبد الله" (الرشاطي، 1990، ص. 103)، فضلاً عن التقائها مع الإدريسي في إيراد اسم الجد "ونموا" (الإدريسي، 1989، ج2، ص. 539-540). وبمطابقة هذه الأسماء مع ما أورده ابن حزم في (جمهرة أنساب العرب) حول فروع قبيلة نفزة (ابن حزم، 1962، ص. 497)، يتأكد لنا أن هذا التوافق بين المصادر الجغرافية والنسابة العرب وبين المتخصصين في الأنساب البربرية، ينقل مسألة هوية طارق بن زياد من حيز الظن والاضطراب إلى دائرة القطعية التاريخية التي يدعمها التقاطع المنهجي بين الروايات.

إضافة إلى ما سبق، فإن المؤرخ البربري صالح بن عبد الحليم لم يكتف بسرد نسب طارق، بل أورد نصاً لأبي عبيد البكري، المؤرخ الجغرافي الأندلسي، ومضمونه أنه: «لَمَّا فَتَحَ طَارِقُ بْنُ زِيَادٍ جَزِيرَةَ الْأَنْدَلُسِ، وَسَكَنَ فِيهَا مَعَ إِخْوَانِهِ مِنَ الْبُرَابِرِ، فَسَكَنُوا فِيهَا وَتَزَوَّجُوا...» (Ya'la', 1996, p. 46)، وفي هذا تأكيداً على أن طارقاً هو جزء لا يتجزأ من قومه البربر الذين ساهموا في فتح الأندلس وتعميرها واتخاذها موطناً للاستقرار، وأنهم "إخوان" لطارق في العرق والقبيلة.

وهكذا، يمكن رصد مسار بناء هوية طارق بن زياد وتطورها؛ بدءاً من الروايات المشرقية، مروراً بأقلام الأندلسيين، ووصولاً إلى مؤرخي ونسابة البربر؛ حيث اتضح لنا أن طارق بن زياد، بعدما كان في المصادر الأولى مجرد "مولى" تُعرّف هويته بهوية سيده، صار بفضل جهود مؤرخي وجغرافي الأندلس ذا هوية مغربية أندلسية، ثم ترسخت هذه الهوية وتجدرت بظهور شجرة نسب بربرية في المصادر المحلية وبأقلام نسابة البربر ومؤرخيهم.

2.5.2 ابن عذارى المراكشي (كان حيا سنة 712هـ / 1312م)

بعد أن تكفل صاحب كتاب "الأنساب" - المؤرخ والنسابة البربري صالح بن أبي صالح - بالكشف الدقيق والموثّق عن الهوية البربرية النفزية لطارق بن زياد، مستنداً في ذلك إلى مرجعية النسابة الكبير محمد بن أبي المجد المغيلي؛ يأتي معاصره ابن عذارى المراكشي ليؤكد الأصول البربرية لطارق بن زياد، معتمداً هو الآخر على كتاب "الأنساب" المذكور.

ففي كتابه "البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب"، وبعد تقريره حقيقة تاريخية مفادها: «أن متولّي كِبْر فَتْحِ الْأَنْدَلُسِ وَجُلَّهْ وَمَعْظَمُهُ طَارِقُ بْنُ زِيَادٍ» (ابن عذارى المراكشي، 2013، ج2، ص. 10)، يعيد ابن عذارى طرح الرأي نفسه الذي ذهب إليه المؤرخون الأندلسيون الثلاثة: أحمد الرازي، والرشاطي، والإدريسي، والمشرقي ابن خلكان، لكن بتفصيل أكبر. فيذكر: «قد اختلف في نسب» طارق بن زياد (ابن عذارى

المراكشي، 2013، ج2، ص. 10)، ثم يشرع في تصنيف الآراء مستعملاً صيغتي الترجيح: "الأكثرين" و"آخرون". فيقول: «الأكثرين على أنه بربري من نفزة، وأته مولى لموسى بن نصير، من سبي البربر» (ابن عذارى المراكشي، 2013، ج2، ص. 10)، بينما يورد رأي الأقلية بقوله: "قال آخرون: إنه فارسي" (ابن عذارى المراكشي، 2013، ج2، ص. 10). ولتعزيز موقف "الأكثرين" القائلين ببربرية طارق ونفزيته؛ استند ابن عذارى إلى ما أورده النسابة المصمودي البربري صالح بن أبي صالح في كتابه "الأنساب"، ناقلاً عنه نسب طارق كاملاً، مع اختلاف طفيف في اسم الجد الثاني، حيث ورد في "البيان" باسم "رفهو" (ابن عذارى المراكشي، 2013، ج2، ص. 10)، وعند صالح بن أبي صالح "ونمو" (Ya'la', 1996, pp. 48-49).

ويلاحظ أن ابن عذارى لم يأت بجديد عمّن سبقه من المؤرخين فيما يخص أصول طارق بن زياد، وإنما أعاد صياغة آرائهم بطريقة منظمة ومفصلة، جامعاً لها ومرجحاً للرواية القائلة ببربرية طارق. فالرأي القائل إن طارقاً من قبيلة نفزة سبقه إليه كل من أحمد الرازي والرشاطي والإدريسي وابن خلكان، أما الإضافة الوحيدة لابن عذارى فهي قوله إن "الأكثرين" على ذلك. ثم يورد رأي الأقلية القائل بأصول فارسية لطارق، لكنه يغفل الإشارة إلى الرأي الآخر القائل بأنه من قبيلة صدف العربية اليمنية، لا بالتصحيح ولا بالتضعيف، خلافاً لما فعله أحمد الرازي والرشاطي والإدريسي وابن خلكان؛ فهؤلاء رجّحوا ببربرية طارق ثم أوردوا رأي صدف بصيغة التضعيف. وبذلك لم يستقص ابن عذارى كل الآراء المتعلقة بأصل طارق، واكتفى برأيين فقط مرجحاً بينهما.

واللافت أنّ الإضافة الحقيقية لابن عذارى حول هوية طارق بن زياد في "البيان" تتمثل في أمرين: أولاً: أنه أورد نسب طارق البربري في موضعين من كتابه (ابن عذارى، 2013، ج1، ص. 71، ج2، ص. 10)، مبيّناً مصدره الذي استقى منه ذلك، ليدل على تأييده لرأي الأكثرية القائل ببربرية طارق وأصله المغربي (عنان، 1997، ج1، ص. 40).

ثانياً: انفرد به معلومة لا نجدها عند من سبقه من المؤرخين، تتعلق بطبيعة الولاء الذي يربط طارقاً بموسى بن نصير؛ إذ يذكر أن سبب الولاء هو "السبي"، بمعنى أنّ طارقاً كان عبداً مملوكاً ثم أعتقه موسى فصار مولاه "ولاء عتاقة". ويورد هذه المعلومة مرتين: مرةً بصيغة المبني للمجهول دون ذكر مصدرها، بقوله: "ذكر أنه من سبي البربر" (ابن عذارى، 2013، ج1، ص. 71)، ومرةً أخرى ضمن قول الأكثرية القائلة ببربرية طارق (ابن عذارى، 2013، ج2، ص. 10). ويبدو أن ما أورده ابن عذارى بشأن السبي رأي لا يقول به أغلب المؤرخين؛ إذ إن المصادر المشرقية والأندلسية السابقة أكثرت من ذكر كون طارق مولى لموسى، لكنها لم تنتزق إلى نوع هذا الولاء أو سببه، مما يجعل القول بأن طارقاً كان "سبياً" رأياً ضعيفاً ومرجوحاً.

ويعزز ضعف هذا الرأي وجود تناقض جوهري بين سلسلة النسب التي أثبتتها ابن عذارى وبين عبارته التي أورد فيها سبب الولاء، وذلك من عدة وجوه:

أولاً (تناقض النسب): يقتضي وصف "السبي" أن يكون طارق كافراً حين أسر، ثم أعتق وأسلم؛ إلا أن نسبه (طارق بن زياد بن عبد الله) يدل على أن أباه وجده يحملان أسماء عربية إسلامية، مما يناقض فكرة السبي.

ثانياً (الاستحالة الكرونولوجية): لو افترضنا أن موسى سبي طارقاً صغيراً ثم رباه وأعتقه، فإن السياق التاريخي يناقض ذلك؛ إذ دخل موسى إفريقية سنة 85هـ أو 86، ثم ولى طارقاً قيادة جيش قوامه اثنا عشر ألف جندي ما بين 91 و92هـ. والفارق الزمني (ست سنوات تقريباً) (سالم، بلا تاريخ، ص ص. 165، 185، 186) لا يسمح لغلام سبي أن يصبح قائداً عسكرياً محنكاً.

ثالثاً الأراجح تاريخياً: ولاء الموالاتة والحلف: وهو نوع الولاء الشائع بين العرب والموالي من المسلمين غير العرب، حيث يسلم الرجل على يد العربي فيواليه، أو تتحالف قبائل عربية مع جماعات من المسلمين الأحرار من غير العرب، وهذا ولاء اختياري يقوم على طلب المكانة الاجتماعية أو الاستفادة من حماية العرب. وقد شاركت القبائل البربرية العرب مبكراً في حملاتهم، وظهر قادة بربر ضمن الجيوش الإسلامية مثل ابني الكاهنة وهلال بن ثروان اللواتي. والأرجح أن هؤلاء القادة كانوا موالي "موالاتة وحلف"، وأن قومهم أسلموا ضمن سياق الفتح (مباركية، 2012، ص. 107). ومن ثمّ، لا يُستبعد أن يكون عبد الله -جد طارق- وأبوه زياد قد أسلما، وأصبحا من الموالي بالموالاتة والحلف، وأن طارقاً قد تلقى الإسلام عنهما (عنان، 1997، ج1، ص. 40، مؤنس، 2002، ص. 129).

ولما دخل موسى بن نصير بلاد المغرب؛ قرّب طارقاً لما رأى فيه من كفاءة، فولّاه طنجة وجعله قائداً لجيش البربر المكلف بفتح الأندلس، بدليل قول صاحب "أخبار مجموعة": "سار حتى أتى إفريقية، وأخرج معه من أهلها أهل القوة والجلد، وعلى مقدمته طارق بن زياد" (مؤلف مجهول، 1867، ص. 04). وبذلك تتطابق حالة طارق مع قادة بربر سبقوه مثل هلال بن ثروان اللواتي.

ومما يدل على انتشار ولاء الموالاتة والحلف في المغرب زمن الفتح؛ ما أورده المصادر عن الفقيه المالكي يحيى بن يحيى الليثي، إذ كان أبوه "يحيى بن كثير بن وسلاس البربري" وابن أخيه من جيش طارق، وقد أسلم جدهم "وسلاس" على يد يزيد بن عامر الليثي، فنُسب إليه ولاءً. ويؤكد القاضي عياض - نقلاً عن أحمد الرازي - ذلك بقوله عن الفقيه يحيى: «... من مصمودة من مضارة قبيلة منها. دخل يحيى بن وسلاس، مع ابن أخيه نصر بن عيسى في جيش طارق، وأسلم وسلاس جدهم، على يدي يزيد ابن عامر الليثي، ليث كنانة... ثم دخل بعدهما كثير بن وسلاس...» (عياض، 1970، ج3، ص. 379). ويفهم من هذا النص انتشار ولاء الموالاتة بين البربر، وأنه من غير المستبعد أن يكون جد طارق (عبد الله) وأبوه (زياد) قد أسلما بالطريقة نفسها. وعليه، فإنّ ابن عذاري المراكشي قد أعاد التأكيد على الهوية البربرية لطارق بن زياد، مستنداً في ذلك إلى من سبقه من المؤرخين والجغرافيين الأندلسيين، وإلى النسابة ومؤرخي البربر، ومتفرداً بطرح فرضية "السبي" التي لم يقل بها غيره.

3.5.2 الصفدي (764هـ/1363م)، يحيى بن خلدون (ت 780هـ/1378م)، عبد الرحمن بن خلدون (ت 808هـ/1406م)

وفي القرن نفسه الذي ظهر فيه ابن عذاري، نجد المؤرخ الصفدي المشرقي والمؤرخين الخلدونيين المغربيين يحيى بن خلدون وأخوه عبد الرحمن بن خلدون قد أشاروا إلى هوية طارق بن زياد في مصنفاتهم التاريخية؛ فالصفدي قد خصص في كتابه "الوافي بالوفيات" ترجمة موجزة لطارق بن زياد، وقد صرح بأن طارق بن زياد بربري النسب دون أن يذكر انتماءه إلى نفزة، وذلك في قوله: "طارق بن زياد البربري مولى موسى بن نصير" (الصفدي، 2000، ج16، ص. 220)، أما يحيى بن خلدون (ت 780هـ)، ذكر في كتابه "بغية الرواد" اسم طارق مقروناً بنسبه البربري النفزي، إذ قال: "... طارق بن زياد النفزي" (يحيى بن خلدون، 2011، ج1، ص. 189).

أما أخوه المؤرخ عبد الرحمن بن خلدون، فلم يخض في تفاصيل هوية طارق أو بيان أصله ونسبه، بل اكتفى بإيراد اسمه واسم أبيه ناسباً إياه إلى "ليث كنانة" (عياض، 1970، ج3، ص. 379) أو "بني ليث" من قضاة (خطاب، 2003، ج1، ص. 218)، بقوله: "طارق بن زياد الليثي" (ابن خلدون، 2010، ج7، ص. 370، 588). ولم يوضح ابن خلدون إن كان يقصد بهذه النسبة أنه عربي صليبية من ليث كنانة أو بني ليث من قضاة، أم أنه يريد أنه مولى لهم. والأرجح أنه يقصد بتلك النسبة انتماء طارق إلى ليث كنانة بالولاء؛ إذ صرح في تاريخه بأن طارقاً مولى لموسى بن نصير (ابن خلدون، 2010، ج7، ص. 370)، والمعروف أن الموالي تعود أصولهم إلى غير العرب. وقد ذكرت المصادر التاريخية المغربية والأندلسية أن والد الفقيه المالكي يحيى بن يحيى -الذي كان في جيش طارق- عُرف بالليثي لكونه مولى لزيد بن عامر الليثي من ليث كنانة (ابن الأبار، 1995، ج4، ص. 160). ومن ثمّ، فالمرجح أن ابن خلدون قصد بعبارة "طارق بن زياد الليثي" أن طارقاً مولى لليث كنانة ولاء حلف وموالاته، لا ولاء عتاقة وسبي، مخالفاً بذلك ابن عذاري.

ومما سبق، يتضح أن القول بالانتماء البربري النفزي لطارق كان مستقراً لدى مؤرخي القرن الثامن الهجري، بل ونجد ذلك حتى عند مؤرخي القرن التاسع الهجري؛ حيث ذكر صاحب كتاب "تاريخ الأندلس" أن "طارق من البربر من قبيل نفزة..." (مؤلف مجهول، 2007، ص. 153).

3. إشكالية "الولاء" عند طارق بن زياد: نقد الروايات وتفسير انفراد ابن خلدون

واستناداً إلى النصوص التي أوردها كلٌّ من ابن عذاري المراكشي وعبد الرحمن بن خلدون بشأن هوية طارق بن زياد، نجد أن الخلاف حول مسألة "ولائه" لم يقتصر على تحديد نوع هذا الولاء وطبيعته فحسب، بل شمل أيضاً الجهة التي ينتمي إليها. ومن خلال استقراء النصوص، يمكن رصد أربع روايات تحدد هذه الجهة: **الرواية الأولى**: وهي التي اتفقت عليها معظم المصادر المشرقية والأندلسية (المبكرة والوسيطة والمتأخرة)، وتقيد بأن طارقاً كان مولى لموسى بن نصير، دون الإفصاح عن طبيعة هذا الولاء بدقة.

بناء الهوية في سيرة طارق بن زياد: تحليل نقدي للمصادر التاريخية المبكرة والمتأخرة

الرواية الثانية: وتذهب إلى أن طارقاً من موالى قبيلة "الصدف" اليمنية. وقد ذكر هذه الرواية صاحب كتاب "أخبار مجموعة" (Anónimo, 1867, p. 21) في القرن الرابع الهجري (10م)، ثم أوردتها المصادر الوسيطة -سواء الأندلسية أو المشرقية- بصيغة التمريض (التضعيف).

الرواية الثالثة: وتفيد بأن أفراداً من عقب (نسل) طارق بن زياد في الأندلس قد أنكروا كون جدهم مولياً، ونفوا بالأخص ما تردّد حول تبعيته لموسى بن نصير بـ «الولاء». وقد أورد هذه الرواية ابن الشباط نقلاً عن أبي عبيد البكري (ابن الشباط، 1971، ص. 168)، كما ذكرها الحميري في «روض المعطار» (الحميري، 1980، ص. 35)، والمقري في «نفح الطيب» (المقري، بلا تاريخ، ج1، 254).

الرواية الرابعة: وهي التي انفرد بها عبد الرحمن بن خلدون، حيث عدّ طارق بن زياد ليثي الولاء (ابن خلدون، 2010، ج7، ص. 370)، من بني ليث كنانة.

وعند إخضاع هذه الروايات للتحقيق النقدي، تغدو الرواية الأولى هي الأرجح؛ نظراً لكون المصادر التي أثبتتها قد دُوِّنت خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين، مما يجعلها الأقرب زمنياً لعهد طارق بن زياد. وفي المقابل، ساق صاحب "أخبار مجموعة" الرواية الثانية دون ترجيح، في حين فندتها المصادر الوسيطة التي صنّفها مؤرخون أندلسيون ثقات كأحمد الرازي والرشاطي.

أما الرواية الثالثة، فتعارض مع ما استقر في المصادر المشرقية والأندلسية المبكرة المدونة في القرن الثالث الهجري/ 9م، والتي أجمعت على ارتباط طارق بن زياد بموسى بن نصير عبر رابطة "الولاء". وفيما يخص الرواية الرابعة، فقد تفرد بها ابن خلدون دون العزو إلى مصدر سابق؛ ويُلحظ تقاطع هذه الرواية في مسوغاتها مع قصة انتماء يحيى بن يحيى الليثي التي أوردها القاضي عياض في "ترتيب المدارك"؛ مما يعزز فرضية وقوع ابن خلدون في "الاشتباه"، عبر سحب تفاصيل واقعة يحيى (والد الفقيه يحيى) في انتمائه لبني ليث من كنانة بالولاء (عياض، 1970، ج3، ص. 379)، وإسقاطها على سيرة طارق بن زياد، علاوة على ذلك، يُلاحظ وجود تضارب في روايات ابن خلدون المتعلقة بطارق بن زياد؛ فقد أثبت ابن خلدون انتماءه لبني ليث، سواء بكونه عربياً صليبية أو مولياً لهم، لكنه في الوقت ذاته صرح بأنه مولى لموسى بن نصير. وهنا يبرز التساؤل: كيف يجتمع كون طارق عربياً أو مولياً لقبيلة عربية مع كونه مرتبطاً بالولاء لموسى بن نصير في آنٍ واحد؟

خاتمة

وختاماً، خلّصت الدراسة إلى أنّ المصادر الوسيطة والمتأخرة -الممتدة من القرن الخامس الهجري (11م) إلى القرن الثامن الهجري (14م) - قد تجاوزت الأطروحات التي نُسبت طارق بن زياد إلى أصول فارسية أو يمنية، ورجّحت في مقابل ذلك انتماءه البربري النفزي؛ وبذلك لم تعد هوية طارق تُبنى على مجرد رابطة "الولاء" التقليدية التي سادت في المصادر المبكرة، بل غدت تركز على مكونات النسب القبلي والانتماء القطري.

لقد مرّ طرح مسألة الهوية بمسارٍ تراكمي؛ إذ ركزت المصادر المشرقية والأندلسية المبكرة على تثبيت رابطة الولاء لموسى بن نصير، قبل أن تتجه لاحقاً نحو ترسيخ الهوية المكانية. ومع ظهور المصادر الأندلسية الوسيطة، برزت هويات متباينة تراوحت بين التبعية لبلاد فارس (همذان)، أو الولاء لقبائل يمنية، أو الانتماء للعروبة الصريحة، وصولاً إلى الهوية البربرية؛ وهي الهوية التي حظيت بترجيح كفة أغلب تلك المصادر، وأنّ أول من رجح هذه الهوية هو المؤرخ والنسابة أحمد الرازي في القرن الرابع الهجري/10م.

ومع حلول القرن الثامن الهجري (14م)، حدث التحول النوعي ببروز مدونات وضعها مؤرخو البربر ونسابتهم، استهدفت تأكيد الهوية "البربرية المغربية" لطارق، وكشفت عن سلسلة نسبة المفصلة المنتهية إلى قبائل نفاوة (البُتر). وقد استند هذا البناء التوثيقي إلى ما حفظه النسابة والمؤرخ البربري أبو عبد الله محمد بن أبي المجد المغيلي (القرن 5هـ) في مصنفه حول أنساب البربر وتواريخهم، والذي يُعدُّ مصدراً بكرًا في مضماره. ثم جاءت إسهامات ابن عذاري المراكشي، ومن تلاه كالصفي ويحيى بن خلدون، لتستخلص من مجمل تلك الروايات الأندلسية والبربرية نتيجةً مفادها: أنّ طارق بن زياد لم يعد مجرد تابعٍ عسكري في المنظومة الأموية، بل استحال شخصيةً بربريةً أندلسيةً مغربيةً بامتياز، اضطلعت بدورٍ محوري في صياغة تاريخ الغرب الإسلامي.

قائمة المراجع

1. ابن الأبار، محمد بن عبد الله. (1995). التكملة لكتاب الصلة. تحقيق: عبد السلام الهراس، ج4، لبنان، دار الفكر للطباعة.
2. ابن الأثير، عز الدين علي. (1997). الكامل في التاريخ. تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط1، ج4، بيروت، دار الكتاب العربي.
3. الإدريسي، محمد بن محمد (الشريف). (1989). نزهة المشتاق في اختراق الآفاق. ط1، ج2، بيروت، عالم الكتب.
4. الإصطخري، إبراهيم بن محمد. (2004). المسالك والممالك. تحقيق: محمد جابر عبد العال الحيني، القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة.
5. الإيلاني، صالح بن عبد الحليم. (2013). المقتبس من تاريخ البربر في المغرب والأندلس. تحقيق: عبد القادر بويابة، ط1، الجزائر، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر.
6. البكري، أبو عبيد الله. (1968). جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب المسالك والممالك. تحقيق: عبد الرحمن علي الحجي، ط1، بيروت، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع.
7. البلاذري، أحمد بن يحيى. (1967). فتوح البلدان. تحقيق: عبد الله أنيس الطبايع وعمر أنيس الطبايع، بيروت، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر.
8. بني ياسين، يوسف أحمد يوسف. (2002). علم التاريخ في الأندلس حتى نهاية القرن الرابع الهجري. ط1، الأردن، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع.
9. بويابة، عبد القادر. (2002). مصادر مخطوط مفاخر البربر. مجلة عصور، مخبر البحث التاريخي، جامعة وهران، العدد الأول.
10. بويابة، عبد القادر. (2011). المؤنس في مصادر تاريخ المغرب والأندلس. ط1، الجزائر، دار كوكب العلوم للنشر والتوزيع.
11. الحميري، محمد بن عبد الله. (1980). الروض المعطار في خبر الأقطار. تحقيق: إحسان عباس، ط2، بيروت، مؤسسة ناصر للثقافة.
12. الحميدي، محمد بن فتح. (1966). جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس. القاهرة، الدار المصرية للتأليف والنشر.
13. ابن حبيب، عبد الملك السلمي. (2008). كتاب التاريخ. اعتنى به: عبد الغني مستو، ط1، صيدا-بيروت، المكتبة العصرية.
14. ابن حزم، علي بن أحمد. (1962). جمهرة أنساب العرب. تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مصر، دار المعارف.

بناء الهوية في سيرة طارق بن زياد: تحليل نقدي للمصادر التاريخية المبكرة والمتأخرة

15. حقي، محمد. (2001). البربر في الأندلس، ط1، دار البيضاء، شركة النشر والتوزيع المدارس.
16. ابن حوقل، أبو القاسم النصيبي. (1928). صورة الأرض. هولندا، مدينة ليدن، مطبعة بريل.
17. ابن خلدون، عبد الرحمن. (2010). كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر. تحقيق: إبراهيم شبوح، ط1، ج7، ج11، تونس، القيروان للنشر.
18. ابن خلدون، عبد الرحمن. (2011). كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر. تحقيق: إبراهيم شبوح، ط1، ج11، ج13، تونس، القيروان للنشر.
19. ابن خلدون، عبد الرحمن. (2012). كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر. تحقيق: إبراهيم شبوح، ط1، ج13، تونس، القيروان للنشر.
20. ابن خلدون، يحيى (أبو زكرياء). (2011). بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد. تحقيق: عبد الحميد حاجيات، طبعة خاصة، ج1، الجزائر، عالم المعرفة للنشر والتوزيع.
21. ابن خلكان، أحمد بن محمد. (1994). وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. تحقيق: إحسان عباس، ط1، ج5، بيروت، دار صادر.
22. خطاب، محمود شيت. (2003). قادة فتح الأندلس. ط1، مؤسسة علوم القرآن - منار للنشر والتوزيع.
23. بن خياط، خليفة. (1995). تاريخ خليفة بن خياط. تحقيق: مصطفى نجيب فواز وحكمت كشلي فواز، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية.
24. الرشاطي، أبو محمد. (1990). الأندلس في اقتباس الأنوار وفي اختصار اقتباس الأنوار. تحقيق: إميليو مولينا وخاثنيتو بوسك بيلا، مدريد، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية.
25. سالم، عبد العزيز. (1997). تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس: من الفتح العربي حتى سقوط الخلافة بقرطبة. الاسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة.
26. سالم، عبد العزيز. (د.ت). تاريخ المغرب في العصر الإسلامي. مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع.
27. شاكر، محمود. (1990). المنطلق الأساسي في التاريخ الإسلامي. ط1، بيروت، المكتب الإسلامي ودار النفائس.
28. ابن الشباط، محمد بن علي. (1971). تاريخ الأندلس لابن الكردبوس ووصفه لابن الشباط: نصان جديان. تحقيق: أحمد مختار العبادي، مدريد، معهد الدراسات الإسلامية.
29. الصفدي، خليل بن أبيك. (2000). الوافي بالوفيات. تحقيق: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، ج16، بيروت، دار إحياء التراث.
30. الضبي، أحمد بن يحيى. (1967). بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس. القاهرة، دار الكاتب العربي.
31. الطبري، محمد بن جرير. (1971). تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، ج6، القاهرة، دار المعارف.
32. ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبد الله. (2004). فتوح مصر والمغرب. تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة الثقافة الدينية.
33. العبادي، أحمد مختار. (د.ت). في تاريخ المغرب والأندلس. بيروت، دار النهضة العربية للطباعة والنشر.
34. ابن عذاري، أحمد بن محمد المراكشي. (2013). البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب. تحقيق: بشار عواد معروف ومحمد بشار عواد، ط1، مج2، تونس، دار الغرب الإسلامي.
35. ابن عساكر، علي بن الحسن. (1995). تاريخ دمشق. تحقيق: محب الدين أبو سعيد عمر بن غرامة العمروي، ج24، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
36. عنان، محمد عبد الله. (1997). دولة الإسلام في الأندلس. ط4، ج1، القاهرة، مكتبة الخانجي.
37. عياض، القاضي بن موسى السبتي. (1970). ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك. تحقيق: عبد القادر الصحراوي، ط1، ج3، المغرب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.
38. ابن الفقيه، أحمد بن محمد الهمذاني. (1996). البلدان. تحقيق: يوسف الهادي، ط1، بيروت، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع.
39. ابن القوطية، محمد بن عمر. (1994). تاريخ افتتاح الأندلس. تحقيق: عمر فاروق الطباع، بيروت، مؤسسة المعارف.

40. مباركية، منصف. (2021). البربر الموالي في دولة الخلافة ودورهم في الحياة العامة حتى منتصف القرن الثامن الميلادي . المجلة التاريخية الجزائرية، جامعة مسيلة، الجزائر، المجلد 05، العدد 01.
41. مجهول. (1867). أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بها بينهم .تحقيق وترجمة: إميليو لافوينتي ألكانتارا، مدريد، مطبعة ريبادينيرا.
42. مجهول. (1989). أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها بينهم .تحقيق: إبراهيم الأبياري، 2، مصر، دار الكتب المصرية والدار الكتاب اللبناني.
43. مجهول. (2005). مفاخر البربر .تحقيق: عبد القادر بويابة، ط1، دار أبي رقرق للطباعة والنشر.
44. مجهول. (2007). تاريخ الأندلس .تحقيق: عبد القادر بويابة، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية.
45. المقري، أحمد بن محمد التلمساني. (د.ت). نفتح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب .تحقيق: إحسان عباس، ج1، بيروت، دار صادر.
46. المقدسي، محمد بن أحمد. (2002). أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم .تعليق: محمد أمين الضناوي، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية (منشورات محمد علي ببيضون).
47. المنوني، محمد. (1983). المصادر العربية لتاريخ المغرب .ج1، الرباط، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية.
48. مؤنس، حسين. (2002). فجر الإسلام: دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية .ط1، بيروت، دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع.
49. اليعقوبي، أحمد بن إسحاق (ابن واضح). (1995). تاريخ اليعقوبي .ط6، مج2، بيروت، دار صادر.
50. Anónimo. (1867). **Ajbar Machmuâ (Colección de tradiciones): Crónica anónima del siglo XI.** trad. Emilio Lafuente y Alcántara, Madrid, Imprenta de M. Rivadeneyra.
51. Ya'la, Muḥammad (ed.). (1996). **Tres textos árabes sobre beréberes en el occidente islámico.** Fuentes Árabe-Hispanas 20, Madrid, Consejo Superior de Investigaciones Científicas.